



الأزمة بين إيران وأذربيجان المخاطر والتداعيات

المصدر: فريق مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير



تاريخ الإصدار: 11 تشرين الأول / أكتوبر 2021



الأزمة بين إيران وأذربيجان: المخاطر والتداعيات

مقدمة:

تبدو التوترات بين إيران وأذربيجان عالية في الوقت الحالي، لكن من المرجح جداً أن تخفّ وطأتها في الأيام المقبلة لعدة أسباب، إذ لا يمكن لطهران ولا باكو تحمل السماح للأحداث الأخيرة بأن تؤدي إلى أزمة طويلة المدى أو مواجهة عسكرية بين بلدين يحمل كل منهما بصمات مشتركة وامتجذرة في التاريخ. فالتقارب التاريخي والجغرافي الذي يتميز به البلدين، إضافة إلى الارتباط العرقي والعقائدي بينهما، حيث أنّ أذربيجان بلد مسلم ذي أغلبية شيعية مثل إيران، إضافة إلى أنّه في إيران يعيش حوالي 20 مليون أذري وهم جزء أساسي من النسيج الاجتماعي والسياسي الإيراني، كفيّل بأنّ يجعل كل طرف يراجع حساباته جيداً حول أي خلاف حاصل، قد يكون صعب الاحتواء إذا ما استمر وامتد ليصبح حالة استنزاف لن يستفيد منها إلا العدو الصهيوني المعادي لإيران.

دخلت إسرائيل إلى أذربيجان بعناوين مختلفة وشراكات متعددة لتنشئ موطئ قدم لها على الحدود الشمالية مع إيران، وعلى الرغم من محاولة قادة أذربيجان التخفيف من حدة هذا الوجود إلى حد إنكار فعاليته، إلا أنه يبدو واضحاً أن للوجود الإسرائيلي هناك أهداف خطيرة من المهم كشفها ومواجهتها.

لم تتوقف الجمهورية الإسلامية في إيران على التأكيد من باب الحرص على السلام والامن بين البلدين - على علاقاتها الجيدة مع أذربيجان، رغم تنفيذها منذ أيام مناورات عسكرية على الحدود المشتركة مع هذه الدولة التي يتهمها الإيرانيون بأنها نقطة انطلاق نشاط إسرائيلي ضدهم، وهو أمر تنفيه باكو. لكن وزارة الخارجية الإيرانية حذرت، في الوقت ذاته، الجانب الأذري من مغبة السماح لـ«أطراف ثالثة» بالعمل ضد إيران، قائلة إنها تعرف «كيف تحافظ على أمنها».

تشارك إيران وأرمينيا القلق بشأن الوجود الإسرائيلي في المنطقة، في إشارة إلى الوجود الإسرائيلي في أذربيجان. وقد أشار أمير عبد اللهيان في مؤتمر صحافي مشترك في طهران مع نظيره الأرميني أارات ميرزويان: «وجود الصهاينة والإرهابيين مصدر قلق جدي بالنسبة لنا، ولن نسمح للتدخل الأجنبي بالتأثير على علاقتنا مع جيراننا؛ بما في ذلك أرمينيا». وعلى الرغم من نفي أذربيجان لهذا الوجود، إلا أنه يبدو أنّ الجاذب الإيراني أشدّ تأكيداً وحرصاً على كشفه، ففي سؤال طرح على خطيب زاده عن قضية «وجود إرهابيين» في أذربيجان قرب الحدود الإيرانية، أجاب: «لقد تلقينا تقارير حول هذا الموضوع منذ بداية الحرب (بين أذربيجان وأرمينيا) وحتى اليوم، وأبلغنا أصدقاءنا في باكو. أكد أصدقائنا خلال الاجتماعات المختلفة أنه لا يوجد تهديد للدول الأخرى». والمقصود بهؤلاء هم «مرتزقة سوريون» جلبتهم تركيا من شمال سوريا إلى أذربيجان لمساعدتها في الحرب التي خاضتها ضد أرمينيا في إقليم ناغورني قره باغ والتي انتصر فيها الأذريون العام الماضي. كما لفت خطيب زاده إلى أن طهران «أبلغت باكو منذ البداية بأننا نعتزف بوحدة أراضي جمهورية أذربيجان وسيادتها الوطنية وساعدنا في الحفاظ عليها». لكنه أضاف: «يجب ألا تسمح باكو باستخدام حدودها وبلدها من قبل أطراف ثالثة ضد إيران. إن إيران تعرف كيف تحافظ على أمنها، ومن الصواب أن تفني باكو بواجباتها السيادية»، في إشارة على ما يبدو إلى استخدام الإسرائيليين أراضي أذربيجان للقيام بنشاطات داخل إيران.

لا يمكن النظر إلى نتائج الحرب الأخيرة في إقليم "ناغورني كارباخ" بين أرمينيا وأذربيجان (27 سبتمبر-10 أكتوبر 2020) على أنها أسفرت عن سيطرة الأخيرة على الهضبة التي كانت محور توتر بين الطرفين لنحو 3 عقود تقريباً فحسب،

فبالإضافة إلى ذلك، فإن تلك الحرب فرضت تداعيات جديدة على طبيعة وأنماط التحالفات الاستراتيجية في تلك المنطقة، في إطار مخرجات معادلة التوازن الاستراتيجي بين القوى الإقليمية التي انخرطت في هذه الحرب، على غرار تركيا التي كانت اللاعب الأكثر بروزاً فيها إلى جانب أذربيجان، وإسرائيل التي كانت اللاعب الرئيسي "الصامت" في دعم أذربيجان أيضاً، مقابل القوى التي تأثرت بتداعياتها كإيران التي كانت أقرب إلى أرمينيا، وروسيا التي لعبت دور الوسيط في عملية التسوية. فبينما تحل الذكرى الأولى للحرب (أكتوبر 2021) تشهد أذربيجان سلسلة من المناورات العسكرية المتعددة والمتلاحقة، منها المناورات التركية - الباكستانية - الأذربيجانية، مقابل المناورات الإيرانية الجارية على الحدود، والتي تعكس مظاهر التوتر الأمنية والدبلوماسية الحالية بين طهران وباكو.

في الواقع، فإن الانقسام الذي يدعم التوترات الإيرانية الأذربيجانية الحالية يتعلق أكثر بخيارات السياسة الخارجية الأساسية التي اتخذتها أذربيجان بالذهاب بعيداً في علاقتها مع الكيان الصهيوني، والسماح له بالتحرك وفقاً لمصالح يبدو أنها أمنية واستخباراتية لتشكّل تهديداً واضحاً لأمن إيران وسلامه أراضيها.

1. المخاطر:

● الحضور الإسرائيلي هو أساس الازمة:

اختارت أذربيجان إسرائيل وتركيا كأكثر حليفين إقليميين لها، وعلى الرغم من أهمية إيران كدولة إقليمية واستراتيجية بالنسبة لها نظراً للمقومات المشتركة بينهما، إلا أنها توجهت نحو بناء مصالحها مع قوتين مختلفتين، قوة منافسة لإيران وذات هامش مهم وهي تركيا، وقوة عدوة (خارج هامش الاعتراف بها كدولة) تتحرك وفق أهداف تدميرية وتخريبية وهي إسرائيل. لذلك تعمل القوتين وفقاً لهذا التحالف على تأمين موطئ قدم أقوى في جنوب القوقاز، أي في شمال إيران مباشرة. منحت باكو لإسرائيل حرية تشغيلية واسعة لاستخدام الأراضي الأذربيجانية لشن عمليات استخباراتية في عمق إيران.

من المؤكد أن تل أبيب غلّبت ميزان المصالح مع أذربيجان، الذي يفوق نظيره مع أرمينيا بكثير، لاسيما ما يتصل بالعلاقات العسكرية، ليس فقط على مستوى العائد الاقتصادي، الذي يزيد عن 9 مليارات دولار في عام الحرب، وإنما على صعيد الحسابات الاستراتيجية لنوعية هذه الصفقات وأبرزها (الطائرات من دون طيار متعددة النواعيات والأغراض - القطع البحرية - أنظمة الدفاع والأنظمة الهجومية). وتعتبر هذه المكونات أساسية في المنظومة التسليحية لأذربيجان، وتشكل عامل تفوق نوعياً لها في مقابل إيران التي تمتلك بالأساس قدرات تسليح روسية، وبالتالي يمثل ذلك هدفاً مشتركاً لكل من إسرائيل وأذربيجان، فإسرائيل تسعى إلى معادلة العامل التسليحي مع إيران، وأذربيجان تحاول تحقيق الهدف ذاته مقابل التسليح الروسي لها. ومع أن أذربيجان تحصل على أسلحة روسية لكنها سعت منذ فترة إلى تخفيض الاعتماد عليها بدرجة ما خاصة وأن نوعية السلاح الإسرائيلي أكثر أهمية، وتشير تقديرات تفصيلية متخصصة في هذا الجانب إلى أن التسليح الإسرائيلي شكل عامل تفوق أساسياً لأذربيجان في الحرب، حيث كان السبب في تمكينها من استهداف 90% من الأهداف العسكرية الأرمينية التي هاجمتها.

يعتبر البعض ان استراتيجية التطويق التي تسعى إسرائيل لبنائها على الحدود الشمالية مع إيران-انطلاقاً من الجبهة الأذربيجانية- جاءت كردّ فعل على محاصرة إيران للكيان المحتل من بوابة سوريا ولبنان، وأن كل ما تقوم به اليوم وتنفذه من عمليات أمنية محسوسة على الحدود المشتركة بين البلدين هدفه:

1. الضغط على إيران وارباكها داخليا وإقليميا.

2. خلق جبهة استنزاف على الحدود الشمالية لإيران لسحبها من جبهة المواجهة المباشرة مع الكيان على حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة.

بالنسبة لإيران، يعد الوجود الإسرائيلي المتزايد على الحدود مع أذربيجان مسألة أمنية ملحة لأنه ينظر إليها على أنها ذات أهمية متزايدة لسياسة الكيان الصهيوني الأساسية في مواجهة الجمهورية الإسلامية التي تمثل العصب الأساسي لمحور المقاومة، وبالتالي الخطر الوجودي على الكيان المحتل. لم يكن لإسرائيل في أي وقت من تاريخها مجموعات كثيرة من العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والاستخباراتية مع الدول المتاخمة لإيران. اليوم تبدو الجمهورية الإسلامية مستاءة من هذا التطور والنفوذ الإسرائيلي الذي يحاول الامتداد الى الحدود الإيرانية بطرق مختلفة. وإزاء هذا القلق لم تتوقف الجمهورية الإسلامية عن تحذير جيرانها من ضرورة الانتباه لنتائج هذا الوجود والتحرك الإسرائيلي على حدودها.

إسرائيل هي لاعب محوري في الظلّ وهي الأكثر تأثيراً على ما يبدو في النزاع مع أذربيجان.

• الدور التركي في الازمة:

لعبت تركيا دوراً أساسياً في الحرب الأخيرة حول إقليم كاراباغ، وكانت طرفاً أصيلاً في ترتيبات ما بعد الحرب، واستمرت دعائياً في هذه الحرب أكثر من مستوى انخراطها الفعلي. لا يمكن ان ننسى ان هناك تداعيات كثيرة لتحالفات أذربيجان في جانب تحالفها مع إسرائيل، يبرز تعزيز التقارب بين إسرائيل وتركيا، فالأخيرة فتحت أجوائها للجسر الجوي لتل أبيب أثناء الحرب في إقليم كاراباغ. وربما يشكل هذا التقارب هامش حركة لتسوية الخلافات بين أنقرة وتل أبيب في إطار قضية الغاز في شرق المتوسط.

يمكن النظر أيضاً إلى أن تركيا حصدت "جوائز" متعددة من الحرب الأذربيجانية - الأرمنية كان لها ارتدادات على ملفات أخرى، حيث تشير اتجاهات عديدة إلى أن ذلك خفّض مستوى حدة السلوك التركي في ليبيا. ربما تراجعت تركيا خطوة إلى الوراء، صحيح أنها لا تزال في نطاق الجولات الاستكشافية مع كل من اليونان ومصر، لكنها تظل واحدة من الفرضيات قيد الاختبار. وهنا يجب الوضع في الاعتبار أن متغير الطاقة قاسم مشترك محوري في الملفين الآذري والمتوسطي، فعلى سبيل المثال كان هذا العامل أحد دوافع أذربيجان للتقارب مع إسرائيل مبكراً، حيث أن الأخيرة صاحبة مصلحة، باعتبار أنها تحصل على 40% من النفط من أذربيجان، وبالمثل يمكن لتوازنات شرق المتوسط فرض سياقاتها على تركيا ودفعها إلى التراجع عن سلوكها الاندفاعي تجاه اليونان.

• الدور الروسي في الازمة:

يمكن النظر إلى روسيا في سياق تمدد خطوط تحالفات باكو - دمشق - طرابلس، وفي إطار مقاربة "الوسيط النزيه". فروسيا لعبت دور الوسيط في حرب أرمينيا وأذربيجان. ورغم أن إسرائيل كانت خارج هذه المعادلة، إلا أنها حاولت

استغلال ورقة لاعب الظل في أذربيجان في حساباتها مع روسيا في ملف الأزمة السورية، بالضغط على إيران كساحة صراع أخرى بين الطرفين. على الجانب الآخر، فإن روسيا تفادت صداماً مع تركيا في ملف أذربيجان للإبقاء على تحالف قوي على المستوى الثنائي في إطار تسويات الملف السوري الذي كان أحد محاور المحادثات التي جرت في سوتشي- بين الرئيسين الروسي فيلاديمير بوتين والتركي رجب طيب أردوغان في 29 سبتمبر الفائت.

ويمتد هذا المسار بين موسكو وأنقرة أيضاً على الساحة الليبية، وهو سياق آخر يسترعي الانتباه، فعلى الرغم من أن روسيا وتركيا تقفان على جبهتين مختلفتين في ليبيا، إلا أن كواليس العلاقات بينهما في المرحلة الحالية تعطي انطباعاً مختلفاً، بأن هناك تنسيقاً مشتركاً تحت الطاولة، لكنه بدأ يظهر مؤخراً، فوفقاً للبيان الصادر عن لقاء سوتشي الأخير بين بوتين وأردوغان، تم الإعلان عن تنسيق في الملف الليبي، ربما سيظهر في تبني موسكو خطوة الانسحاب المتدرج والمتزامن من ليبيا، من الجانبين، ومن المؤكد أن خطة من هذا النوع تستدعي تنسيق المصالح المستقبلية في إطار تعقيدات الملف الليبي، وأيضاً الإبقاء على سياسة مرنة وهادئة بين موسكو وأنقرة في الملفات الأخرى (سوريا وأذربيجان).

يبدو الروسي متابع ومراقب باهتمام، لم يصرح باي موقف واضح، اما يعمل كلاعب ظل في الازمة على المحافظة على موازين القوى بين كل الأطراف سواء كان الإيراني او التركي او الأذربيجاني.

● تأثير النسيج الاجتماعي المشترك بين البلدين:

غالبية الأذربيجانيين هم من الطائفة الشيعية ويقدر حوالي 80% من سكان أذربيجان من الطائفة الشيعية، وفي إيران يوجد أيضاً عدد كبير من الأذربيين وهم يشكلون جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي الإيراني، لذلك اذا ما تمدت أذربيجان في الذهاب بعيداً بالأزمة مع إيران، فإن الأذربيجانيين داخل أذربيجان كما الأذربيين في إيران لن يقبلوا بكل ما من شأنه تهديد النسيج الاجتماعي المشترك بين البلدين.

● تخلي أذربيجان عن التزاماتها تجاه إيران

تعتبر إيران بأن أذربيجان مديونة لها خاصة بعد حرب 44 يوماً في كارا باغ، لان إيران لم تقف الى جانب أرمينيا -على الرغم من صداقتها مع أرمينيا- ووقفت الى جانب أذربيجان باعتبار ان الأذربيين كانوا أصحاب حق في هذه القضية. كما تعتبر إيران أن الاتراك مديونون لها أيضاً -خاصة اردوغان- لأنه كان يعرف الدور الذي لعبه الشهيد قاسم سليماني بإيصال المعلومات المؤكدة الى الاتراك التي كانت سبباً رئيسياً في افسال عملية الانقلاب التي حصلت على اردوغان قبل سنوات، وقد كان لإيران دور بارز في افسال هذا الانقلاب الذي كان محتوما لولا التدخل الإيراني في هذا الشأن. ليس مقبولاً ان يكون رد تركيا على موقف إيران بهذا الشكل، وان تتحالف الان تركيا مع أذربيجان بهذه الطريقة، إضافة الى العنصر - الثالث في هذا التحالف وهو إسرائيل والطرف الرابع وهو الروسي، الذي يبدو انه كان على علم بكل حيثيات النزاع الحاصل الان لكنه اختار عدم التدخل، خاصة في مسألة منع الشاحنات الإيرانية من المرور، او التحالف العميق بين أذربيجان وإسرائيل. من هذا المنطلق، هي قضية متشابكة وحساسة جداً، وحساسيتها لا تقل أهمية عن مسألة تطبيع دول الخليج الفارسي مع الكيان المحتل، وما يجري بين أذربيجان وإسرائيل وهو ليس جديد - تحالف استراتيجي أمي ومنذ سنوات- امر لن تقبله إيران التي لن تسمح بان يكون للكيان الإسرائيلي قواعد في أذربيجان تهدد أمن إيران. تجدر الإشارة الى أن التورط الأذربيجاني مع إسرائيل بات ثابت لدى الإيراني خاصة فيما يتعلق بعملية اغتيال

العالم فخري زاده التي أعدت ونفذت من الأراضي الأذربيجانية من قبل العدو. إضافة الى موضوع سرقة الوثائق المتعلقة بالملف النووي والتي تبجح بها ناتياهو علنا، أيضا هي مرت عبر الأراضي الأذربيجانية.

يبدو ان إيران قد استوفت مرحلة السكوت عن هذه الخروقات الخطيرة، وخاصة ما يتعلق بسلك اذربيجان تحديدا بسبب تعاملها مع الكيان الصهيوني. لكن لابد من التأكيد على أن إيران لا تريد التدخل في الشؤون الأذربيجانية، فكل دولة حرة في ان تتحالف مع من تريد، لكن لا يجب ان ينقلب هذا الأمر سلبا على الدول المجاورة وخاصة إيران التي لديها حساسية وعداء مع هذا الكيان الغاصب لأرض فلسطين ولحقوق الشعب الفلسطيني.

2- التدايعات والتقديرات:

تمتلك إيران نقاط قوة عديدة للضغط على أذربيجان:

1. من الناحية الأمنية والعسكرية:

تمتلك إيران قدرات عسكرية وأمنية عالية، وقد اثبتت المناورات العسكرية الأخيرة (فاتحو خير) على الحدود الشمالية الغربية مع أذربيجان، أهمية هذه المناورات والرسالة التي حملتها لتثبيت هذه القدرات. أجريت هذه المناورات بمشاركة "لواء عاشوراء" في الحرس الثوري وهم اغلبهم من الاتراك الاذريين المنتمون للحرس الثوري في إيران. وعندما يشارك هؤلاء الأتراك الاذريين، هذا أيضا يدل على ان إيران متماسكة من الداخل ولديها سيطرة كاملة على كل مقومات نسيجها الاجتماعي بدليل مشاركة هذا اللواء في المناورات الأخيرة.

2. ملف بحر قزوين:

الجميع يعرف بان هناك خلاف تاريخي خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، حيث برزت خلافات بين مختلف الدول المطلة على بحر قزوين. لم توقع إيران حتى الان على الاتفاقية المتعلقة بهذه المنطقة، وهي تطالب بنصف مياه بحر قزوين. كما أنها تمتلك هناك قدرات عالية جدا وكان واضحا الدور الذي لعبته الزوارق الحربية في المناورات، حيث قامت بصولات وجولات في تلك المياه القريبة من أذربيجان لتعلن حضورها في تلك المنطقة. على المستوى العسكري، لدى إيران نفوذ كبير في تلك المنطقة والمنطقة الحدودية مع أذربيجان.

3. التأييد الشعبي لقرارات الحكومة الإيرانية

لا يمكن لأذربيجان المراهنة على أي موقف شعبي في الداخل الإيراني (خاصة موقف الاذريين الإيرانيين) ليؤيد سلوكها ضد دولتهم- ومطالبته بضرورة مواجهة مخطط تغيير الخريطة الجغرافية والسياسية لتلك المنطقة: هذا فيما إذا أراد الاتراك والاذربيجانيين التمادي واللعب على الخريطة لتغيير الحدود الجغرافية. فإذا تمادت تركيا في المشاركة في هذه اللعبة القذرة لتغيير الجغرافيا هناك والحدود الدولية في تلك المنطقة لیتم احتلال منطقة نخجوان وعزل الحدود الإيرانية مع أرمينيا، هناك مطالبات داخل إيران بضرورة اتخاذ تدابير لمواجهة هذا المخطط لأنه يعتبر خطأ احمر بالنسبة لإيران وهي لن تقبل بقطع الحدود مع أرمينيا خاصة وأن هذا الطريق هو الخط الوحيد الذي يربط إيران بأوروبا عبر البر.

يتعين على باكو أيضاً أن تواجه بعض الحقائق الأساسية التي تقيد خياراتها تجاه طهران. في ذروة المناوشات الكلامية بين طهران وباكوف في أوائل أكتوبر، ألمح الرئيس الأذربيجاني إلهام علييوف إلى أن الأقلية الإيرانية الكبيرة من الأذربيجانيين قد تثور للدفاع عن أبناء عمومتهما في الشمال في جمهورية أذربيجان. يثير هذا النوع من الكلام من باكوف غضباً في طهران، التي ترى أنه يهدف إلى خلق انفصالية داخل إيران وخاصة داخل الأقلية الأذربيجانية. ما لم يقله علييوف، ويبدو أنه ليس لديه إجابة عليه، هو ما يمكن أن تفعله باكو لاستيعاب 20 مليون أو نحو ذلك من الأذربيجانيين في إيران إذا ما حصل ما يطمح إليه. لقد عاشوا بعيداً عن أبناء عمومتهما الشماليين منذ أن فقدت إيران أراضيها القوقازية لحساب الروس في القرن التاسع عشر. يبلغ عدد سكان أذربيجان في إيران ضعف عدد سكان جمهورية أذربيجان على الأقل، وأي تلميح لاستيعابهم من قبل باكوف هو في الأساس لا معنى له وسيكون بالتأكيد بمثابة اندثار لأذربيجان كما نعرفها اليوم. وبالتالي لا شك في أن كلا الجانبين يعترفان بأن الوضع الراهن في العلاقات، مهما كان مضطرباً، أفضل من الانتقال إلى وضع يرفض فيه كل من باكو وطهران الاعتراف بوحدة أراضي الطرف الآخر.

تجدر الإشارة إلى أنّ التحرك الإيراني في القوقاز عموماً، والموقف تجاه أذربيجان خصوصاً، لا يرتبط بالتواجد "الإسرائيلي" على الحدود الشمالية لإيران فقط، بل إنه يهدف لإفشال مخطط (تركي - أذري) برعاية "أميركية - إسرائيلية" لمحاصرة إيران ومنعها من التواصل البري مع أرمينيا خصوصاً، ومع أوروبا عموماً عبر الأراضي الأرمينية.

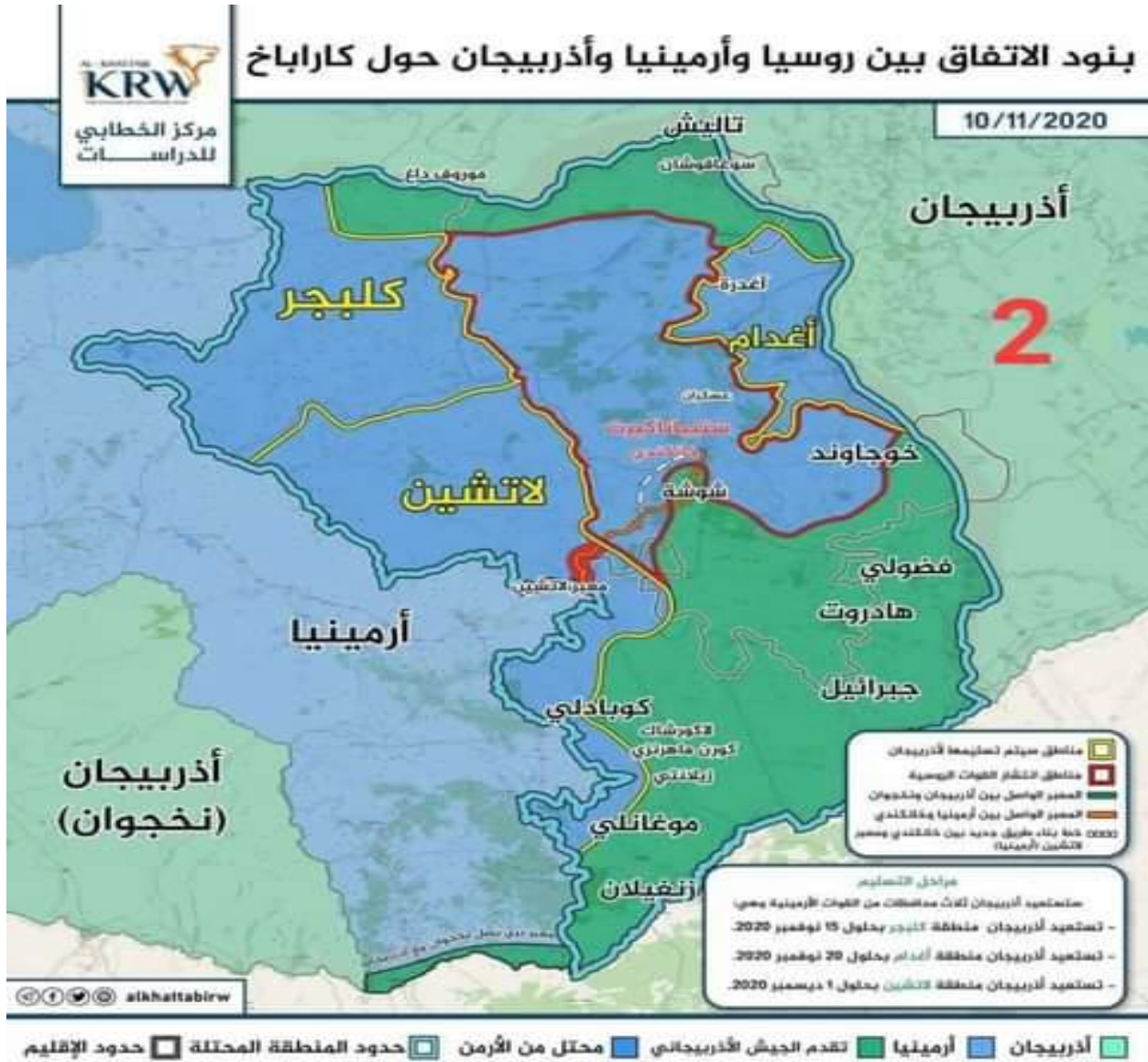
1. تدرك إيران الدور الذي تمارسه كل من تركيا و"الكيان الصهيوني"، لمحاصرتها شمالاً، خاصة في ظلّ ضغوط داخلية وإقليمية تعيشها تركيا والتي باتت تبحث عن عناوين إقليمية لتحسين علاقاتها في أي اتجاه ممكن، إضافة إلى دورها الأطلسي - كأداة إقليمية تنفيذية للسياسات الأمريكية. وإعلانها إغلاق جميع معابرها الحدودية أمام الشاحنات الإيرانية، دليل على تورطها أكثر في هذا الاتجاه.
2. دور أمريكا والغرب المرتبط بعودة إيران إلى مفاوضات فيينا، ومدى قدرتهم على توظيف هذه الازمة للضغط على الحكومة الإيرانية وجلبها إلى طاولة المفاوضات من جديد.
3. الوجود الإسرائيلي في أذربيجان يذكي مخاوف الإيرانيين من الاغتيالات والتجسس وتحريك ورقة الانفصاليين.
4. إعلان إيران عدم تسامحها مع أي تغيير جيوسياسي في خارطة القوقاز، دليل على جدية وخطورة الوضع هناك، وعلى أن إيران تستشعر خطورة ما يحدث وهي تتابعه بجدية وتتحرك في اتجاه مواجهته.
5. لا تتخوف إيران من سعي إسرائيل لتسليح الجيش الأذري أو تدريبه، فتلك مهمة لا تثير كل هذه المخاوف، لكن الخطر بالنسبة إليها هو استمرار بقاء قوات خاصة إسرائيلية على حدودها، وهو ما قد يفتح الباب أمام عمليات انتقامية إسرائيلية وتفجيرات أو اغتيال يستهدف علماء وباحثين في الملف النووي، فضلاً عن التجسس على البرنامج النووي والخطط العسكرية لطهران.
6. لا يستبعد الإيرانيون تحالفاً تركيا - إسرائيلياً ضد المصالح الإيرانية في أذربيجان خاصة بعد خسارة ممر "ناختشيفان" الذي يقطع طرق إيران البرية باتجاه أرمينيا وأوروبا وجورجيا، بعد أن صار تحت سيطرة أذربيجان ومن ورائها تركيا. وربما هي محاولة لمحاصرة إيران براً من منطقة الشمال.

تبين الخريطتين أدناه واقع الحدود قبل الحرب (1) الاخيرة، وبعدها (2) حيث كان التواصل بين اذربيجان واقليم نخجوان الأذري وبالتالي تركيا، يتم حكما عبر الاراضي الإيرانية، في حين بات اليوم يتم عبر شريط حدودي بعرض 23 كم داخل الاراضي الارمينية، ما يعني انقطاع للخط البري الواصل بين إيران وأرمينيا..

(1)



(2)



من هذا المنطلق هذه المرحلة هي حساسة جدا، حيث يحاول الإسرائيلي القيام بعملية تطويق لإيران لإبعادها عن حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة بخلق جبهة مواجهة جديدة واستغلال تحالفه مع أذربيجان وتركيا لتحقيق أهدافه إضافة الى تحالفاته جنوبا مع البحرين والامارات، يحاول الإسرائيلي اليوم القيام بعملية التفاف كبيرة من بوابة أذربيجان التي تمثل- خاصة رخوة- على مستوى الحدود الشمالية الغربية. لذلك تعتبر هذه العملية ذات حساسية عالية للشعب الإيراني وللحكومة والنظام في إيران.

يمكن القول بان الأغلبية الساحقة من الشعب الإيراني يرفضون ما يجري على الحدود مع أذربيجان، ويرفضون هذه العملية التي تحصل الان بدعم تركي-إسرائيلي-امريكي من اجل تغيير الحدود الجغرافية والسياسية في تلك المنطقة. هناك اجماع كبير في داخل إيران على المستوى الرسمي والشعبي لمنع الاذريين وحلفائهم من الوصول الى أهدافهم.

من جهة اخرى هذه القضية هي حساسة جدا لجهة ان الأمريكي يتابع ويرصد كيفية تعاطي إيران مع هذا الملف، فاذا كانت إيران تتعامل بضعف وارباك امام هذا التحالف بين أذربيجان وتركيا واسرائيل فهذا بطبيعة الحال سيكون له تداعيات على مسار المفاوضات النووية. وكأن الأمريكي الان هو الاخر مستفيد من هذه الازمة ويريد ان يستخدم هذا الملف كأداة ضغط على إيران في المحادثات التي ستجري في فيينا.

حساسية الموضوع اليوم هي عالية جدا وكأن كل الأطراف تمشي- على حافة الهاوية، هي لا تريد الحرب لكنها تتدحرج نحو الذهاب الى الحرب. كل التحركات الأذربيجانية الان هي تحت أعين الإيرانيين في تلك المنطقة والخطأ الأول سيكون هو الخطأ الأخير. يجب الضغط على الأطراف في تلك المنطقة يعني أذربيجان وتركيا وأرمينيا وإسرائيل وروسيا حتى ينتبهوا لجدية إيران في التحذير، وليكون لديهم يقين بأن الصبر الاستراتيجي الذي تمارسه إيران اليوم هو دليل قوة وليس دليل ضعف.

أرسلت إيران من خلال المناورات العسكرية الأخيرة العديد من الرسائل داخليا وخارجيا، فمع مشاركة لواء عاشوراء المكون من اغلبية أذرية في الحرس الثوري ثبتت الجمهورية الإسلامية تماسك النسيج الاجتماعي والتنوع العرقي والطائفي والمذهبي داخل مؤسسة الحرس الثوري، وداخل كل البنية الاجتماعية الإيرانية حيث يشكل الاذريون جزء أساسي فيها، لتقول لكل من يحاولون اليوم الدخول على خط هذا التنوع لضربه وتفكيكه، بان المس ببنية الشعب الإيراني خط احمر، وأنها محاولات فاشلة مهما حاول البعض التهويل والمبالغة حولها.

إذا استمرت الاستفزازات الأذربيجانية والتركية بدعم اسرائيلي، قد تتدحرج الأمور الى حرب وبطبيعة الحال الخاسر الأول فيها بعد الاذريين هو الإسرائيلي والتركي. ففي هذه المنطقة لن يكون للإسرائيلي موطئ قدم مهما حاول العمل على ذلك امنيا واستخباراتيا مع دول المنطقة، إضافة الى ان كل من أذربيجان وتركيا مطالبون بمراجعة حساباتهم وفق المصالح المشتركة لدول المنطقة وليس وفق مصالح ضيقة قد يدعي الإسرائيلي او حتى الأمريكي دعمها اليوم وقد يتخلى عنها حين تقتضي سياساته وتوجهاته ذلك مستقبلا.